إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة ديسمبر ٢٠١٥ م

المنافقون حولنا يمشون

عادت تاسوني فُلة آخر اليوم من الكنيسة وهي متعبة جداً فاليوم هو يوم الأحد وهو يوم شاق جداً في الخدمة والأعباء الموضوعة عليها هي أعباء مضاعفة فهي ليست مجرد خادمة عادية ولكنها زوجة كاهن الكنيسة!!

ارتمت تاسوني فُلة على الأريكة حتى تستريح قليلاً قبل أن تستأنف المهام المطلوبة منها فعليها الآن تجهيز العشاء بسرعة قبل عودة أبونا فلابد وأنه مرهق جداً وجوعان!! وبمجرد أن جلست على الأريكة حتى غطت في نوم عميق جداً ...

فجأة شعرت تاسوني بيد قوية توقظها فظنت أنه أبونا وقد عاد من الكنيسة فانتفضت بسرعة لأنها لم تُعد طعام العشاء بعد متسائلة في نفسها كيف عاد أبونا بهذه السرعة؟!! لكنها بعد قليل انتبهت إلى شعور غريب ينتابها فقد أحست فجأة أنها خفيفة جداً واختفت كل الآلام التي كانت تشعر بها في رأسها وقدميها. وبدأت تتساءل: "ما هذا الذي يحدث؟! لماذا أنا أرتفع في الجو هكذا؟! ومن هذه المستلقية على الأريكة؟! أليست هي أنا؟! يا إلهي هل صرتُ اثنتين؟!"

فجأة أدركت تاسوني أن المستلقي على الأريكة هو جسدها وأنها قد غادرته!! وفي لمح البصر وجدت نفسها واقفة أمام باب نوراني كبير لم تشاهد مثله قط في حياتها وسمعت أصوات ترانيم وتسابيح عذبة جداً صادرة من خلف الباب فقالت في نفسها: ما أعذب هذه التسابيح!! لابد وأن هذا هو باب الفردوس!! ثم استعدت تاسوني للدخول من الباب وكلها ثقة أنه لابد وأن ينفتح أمامها على مصراعيه. فكيف لا وهي قد تكبدت الكثير من المشقة في خدمتها لأبونا وللكنيسة والجميع يشهدون ببرها وتقواها؟

وبينما تقدمت تاسوني نحو الباب إذا بملاك نوراني يعترض طريقها قائلاً:

- "عفواً سيدتي لا يدخل إلى هنا إلا الذين كُتبت أسماؤهم في سفر الحياة".

- (باندهاش واعتراض) بالطبع أنا اسمي مكتوب في سفر الحياة. ابحث في دفاترك وستجده مكتوباً فأنا تاسوني فلة زوجة أبونا برصنوفيوس كاهن الكنيسة العظيمة التي للقديس أباكراجون. ألست تعرفني؟!! ألست تعرف أبونا زوجي؟؟!! إنه رجل قديس ويشهد عنه الجميع بالقداسة. ألست تعرف الكنيسة المشهورة جداً التي أخدم فيها؟!!
- عفواً سيدتي!! لا أجد اسمك مدوناً لدينا.
- (بغضب) كيف هذا يا سيدي الملاك؟ لابد وأن هناك خطأ ما!! اسمع يا سيدي. أنا أخدم الرب بتعب كثير منذ أكثر من ثلاثين سنة وهي مدة كهنوت زوجي القديس عانيت فيها الكثير من المشقة. كيف تخبرني الآن أنني لا أستطيع الدخول؟! ألم يقل الرب أن كأس ماء بارد لا يضيع أجره في السماء؟!!
- نعم سيدتي الرب قال ذلك بالفعل لكنه قال أيضاً على لسان رسوله أن من يطعم كل أمواله ويسلم جسده حتى يحترق ولكن ليس له محبة فلا ينتفع شيئاً. إن كأس ماء بارد يُقدم بمحبة واتضاع أثمن في عيني الرب من ثلاثين سنة من الخدمة الشاقة الخالية من المحبة.

هنا شعرت تاسوني بدوار شديد وحيرة وأخذت تفكر في نفسها متعجبة مما قاله الملاك. وبدأت تسترجع ذكرياتها في الخدمة وكيف أن كل تعبها ذهب هباءً!! كيف تستسلم هكذا بكل بساطة وهي طوال حياتها لم تتعود على الاستسلام؟! وفجأة طرأت في ذهنها فكرة عبقرية.

- اسمع سيدي الملاك يمكنني أن أحضر لك شهادة العشرات من أصدقائي في الكنيسة من السيدات اللاتي كنت أنا أمينة خدمتهن فأنا واثقة أنهن سيقدمن عني شهادة حسنة أنني كنت أخدم بكل محبة.
- حسناً دعينا نرى ذلك. يكفيكِ فقط شهادة عشرة أشخاص.
- (بفرح شديد) أشكرك أيها الملاك فيبدو أنك طيب القلب جداً. هذا أمر سهل جداً. سوف أبرهن لك عليه في لحظة وسترى بنفسك أن كل شيء على ما يرام.
- حسناً قدمي لي عشرة أسماء الآن لنرى بماذا يشهدون عليكِ.
- ها ها ها!! إليك خمسون اسماً ولو أردت سأعطيك مئة اسم.

أخذ الملاك ينصت لتاسوني فلة وهي تسرد له أسماء الأشخاص الذين يعرفونها جيداً ويشهدون عن قداستها وتعبها في الخدمة. وبعد أن انتهت تاسوني التفتت إليه قائلة:

- أرأيت سيدي الملاك كيف أنه أمر سهل جداً؟ لو أردت يمكنني أن أسرد لك أسماء أخرى كثيرة ولكن أعتقد أن تلك الأسماء التي سردتها لك أكثر من المطلوب... لكن لماذا أنت صامت سيدي؟ يبدو أنك قد اقتنعت بما قدمته لك من براهين على استحقاقي لدخول الفردوس.
- اسمعي سيدتي...لا يوجد ولا اسم من عشرات الأسماء التي قدمتها يشهد عن استحقاقك لدخول الفردوس.
- (بصياح) كيف هذا يا سيدي؟ إنهم جميعاً يحبونني جداً وفي كل مناسبة كانوا يمتدحون تعبي وخدمتي!!!
- (بهدوء) مع الأسف أنتِ مخدوعة. سوف أريكِ الآن قلب كل واحد وواحدة من أولئك الذين سردتِ أسماءهم للتو لتعرفي بنفسك كيف كانوا يرونكِ في قلوبهم وبماذا كانوا يتفكرون عنكِ. فنحن هنا نأخذ بشهادة القلوب فقط وليس شهادة الألسنة.

فجأة وجدت تاسوني فلة كل شخص من أولئك الأشخاص يمر أمامها وكأن قلبه كتاب مفتوح. فبدأت تركز في قراءة المكتوب: تاسوني فلة مغرورة...تاسوني فلة مسيطرة ومهيمنة على الخدمة...أنا لا أحبها فهي تعتقد أنها قديسة...من يعارضها تغضب عليه...إنها تحب الظهور...إنها قاسية القلب...هي لا تحتمل أن يتفوق عليها أحد في الخدمة ...إلخ

هنا أصيبت تاسوني فُلة بذهول شديد أخرسها عن الكلام. لقد كان أولئك جميعهم يمدحونها بأعذب وأرق الكلمات، بل أنهم كانوا يصفونها بما هو مخالف تماماً لما كانوا يضمرون في قلوبهم من نحوها. فالحقيقة المرة التي انكشفت أمامها الآن أنهم كانوا جميعاً مرائين ينافقونها ويتملقونها ليكسبوا ودها، أو ليحصلوا على مصلحة شخصية، أو ليتقوا شر غضبها. لقد صدقتهم وانخدعت بمديحهم حتى صارت عمياء لا ترى خطاياها وضعفاتها. لقد ظنت أنها لا تحتاج إلى توبة طالما هي صالحة في أعين الجميع. وللوقت لم تدرِ بنفسها إلا وهي تصرخ بعويل قائلة: "الويل لي يا رب فالمنافقون حولنا يمشون!!! الويل لي يا رب فالمنافقون حولنا يمشون!!! الويل لي يا رب فالمنافقون حولنا يمشون!!! الويل لي يا .....

وفجأة بينما هي تصرخ وتصيح انتبهت لتجد نفسها متكئة على أريكة منزلها وهي تشعر بإنهاك شديد ودموع غزيرة تنهال من عينيها. فقامت بصعوبة لتعد طعام العشاء لأبونا وهي مازالت تردد بمرارة: "الويل لي يا رب فالمنافقون حولنا يمشون!!!"